المصدر: صباح الخير
التاريخ: ١٩٩٨/١٢/٢٤

بعد سادات هيكل وموسى صبرى
وأحمد بهاء الدين

السادات الذى يعرفه د. جامع!

٢٦٦٧

هذا أغرب كتاب صدر عن الرئيس «السادات»!!

صفحات الكتاب تقدم صورة نادرة ومحيرة عن «السادات» لم نعرفها أو نشاهدها ولم نسمع عنها طوال سنوات عديدة!!

سبق أن عرفنا السادات كما صوره الأستاذ «هيكل» فى كتابه «خريف الغضب» والذى أقام الدنيا وأقعدها عند صدوره عام ١٩٨٤.

وسبق أن عرفنا السادات كما صوره الأستاذ «موسى صبرى» فى كتابه «السادات الحقيقة والأسطورة».

وأيضاً عرفنا «السادات» كما صوره الأستاذ «أحمد بهاء الدين» فى كتابه «محاوراتى مع السادات»!

كان «سادات» هيكل شريراً، وكان سادات موسى «ملاكا»، أما سادات «بهاء» فقد كان شيئا وسطاً بين الاثنين.

أما كتاب «عرفت السادات» للدكتور «محمود جامع» فهو شىء لا شبيه له حتى الآن!!

فى كل موقف أو واقعة أو أزمة ستجد د.محمود جامع شاهداً عليها ومحللا لها حتى لو كان كل شهود وأبطال الواقعة قد غابوا عن الحياة، يسبقه لقب المرحوم فلان أو الراحل علان!!

ولن تجد فى الكتاب كله وثيقة واحدة يدلل بها الرجل على ما يقول، لكنه يكتفى بالقول «يشهد الله عز وجل أننى ما قصدت من كتابة هذه المذكرات إلا وجه الله» و«الكلمة أمانة.. والتاريخ لايكذب.. ولايتجمل ويبقى دائما أن الحقيقة شامخة راسخة» وقد أثرت فى رواياتى للأحداث المصداقية الكاملة والموضوعية وتجنبت الخوض فى حقائق كثيرة وتجارب عشتها وأعرف منها ماهو خطير ومنها ما قد يسبب حساسيات أو جروحا أنأى بنفسى أن

أخوض فيها أو أفشى سراً خاصاً بها.

وصاحب المذكرات من مواليد عام ١٩٣٢ وأسرته تقيم فى قرية كفر السادات التى تبعد حوالى ثلاثة كيلومترات من قرية ميت أبوالكوم حيث تقيم عائلة السادات وأسرته، ولعل قرب المسافة بين القريتين وقصرها كان أدعى إلى توثيق العلاقة منذ بواكير الطفولة، علاوة على قرابة جدة السادات لعائلة د.محمود جامع.

ويقول د.جامع: «كانت هناك علاقات وصداقة ومودة بين والد أنور السادات وبين والدى وجدى وأخوالى، وكان رجلاً شهماً طيباً ذا أخلاق رفيعة وكنت ألاحظ تواجده بكثرة هو وابنه «أنور» فى دوار العمدة عندنا حيث كانا يقضيان السهرات والليالى الطويلة، وكان ذلك هو الطريق إلى توثيق العلاقات بيننا. ثم توطدت العلاقة مع السادات أكثر، عندما التحق أحد أخوالى بمدارس القاهرة وسكن فى منزل أسرة السادات بحدائق القبة، وفى وقت لاحق التحقت أنا بطب القاهرة وعرفت الطريق إلى بيت السادات بالمنيل، واقتربت منه أكثر وراح يروى لى تفاصيل حياته.. وفى منزله - فيما بعد - تعرفت على قيادات الإخوان وكبار رجال الحكم على مدى سنوات علاقتنا حتى رحيله إلى الرفيق الأعلى».

ورغم هذه العلاقة وكما يقول د.جامع «لم أسع لمنصب إطلاقا وحددت طريقى منذ البداية أن أحترم مهنتى كطبيب وأتمسك بها ماحييت، وعندما جعلنى عضواً فى مجلس الشورى عند إنشائه، وفى دورته الأولى انتقدت أداء ودور المجلس وقلت أنه بلا لون ولا طعم ولا رائحة، فاستدعانى د.فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء فكنت حريصا على أن أوضح له أننى أفهم العمل العام بمعنى العطاء لا الأخذ، وأننى بالتالى لا أحرص على عضويتى بالشورى ولابغيره، فأخرجونى فى أول تغييرات فى أعضاء المجلس».

ويحكى د.جامع أنه ذات ليلة فى صيف ١٩٧٠، وكان السادات نائبا لرئيس الجمهورية وكانت زوجته وأولاده وسكرتيره الخاص «فوزى عبدالحافظ» فى رحلة إلى أوروبا.

ويقول د.جامع: «كنت مقيما معه بصفة شبه دائمة أشرف على علاجه من أزمة صحية ألمت به،

وأتابع علاجه الذى وصفه الدكتور «محمد عطية» أستاذ القلب الشهير، وفى تلك الليلة وبينما كنت فى غرفته بميت أبوالكوم دق جرس التليفون فرددت لأجد المتحدث على الطرف الآخر صوتا نسائيا، ولما سألت عن صاحب الصوت قالت: أنا «ناهد رشاد» فأجبتها بأن السادات نائم، وطلبت منى أن أبلغه بعد استيقاظه بأنها قد طلبته! ولما عرف السادات غضب وتأثر جداً لأنى لم أجعلها تحادثه فى الحال ثم قام وطلبها على الفور، وأخبرنى.. يومها أنها كانت تريد السفر للخارج للعلاج، وتريد أيضاً التجديد لزوجها د.يوسف رشاد الذى كان يعمل بتوصية من السادات فى مؤسسة الثروة السمكية بالإسكندرية!!

وفجاة سكت «السادات» ونظر فى عينى وكأنه يريد أن يخبرنى بشىء خطير ثم قال: اسمع يامحمود سوف أخصك بشىء لايعرفه غيرى لقد اتهمونى بإقامة علاقة مع ناهد رشاد وصيفة الملكة واتهمونى أيضاً بالانضمام للحرس الحديدى الخاص بالملك فاروق، والذى يناظر الجهاز السرى للإخوان، والحقيقة أننى عندما تخرجت فى الكلية الحربية ذهبت أخدم فى الجراولة بجوار مرسى مطروح، وهناك تعرفت على يوسف رشاد، كان ضابطا بالبحرية وكنا نلتقى يوميا، ونشأت بينى وبين يوسف وزوجته علاقة ود كبيرة وبعد ذلك تم انضمام يوسف للعمل مع الملك وعينت زوجته ناهد رشاد وصيفة للملكة!

وبعد فُصلى من الخدمة بالجيش حاولت العودة فلم أستطع وذهبت إلى «ناهد رشاد» أطلب منها أن تساعدنى بحكم موقعها وموقع زوجها من الملك، وبينما كنت أحدثها رفعت سماعة التليفون وطلبت حيدر باشا قائد الجيش وأخبرته بأن الملك أمر بإعادتى إلى الجيش فاستجاب حيدر باشا على الفور وطلب منها أن أمر أنا عليه فى اليوم التالى!!

ولما تخوفت - أى السادات - من غضب الملك إذا علم بما فعلته هى قالت أن الملك لن يعلم لأنه لايدرى بكثير من الأمور حوله وأن أموراً عديدة تمر وتمشى هكذا.

وفى اليوم التالى ذهب السادات إلى حيدر باشا

الذى طلب كاتم الأسرار وأمره بإعادة السادات إلى الجيش ثم نظر حيدر للسادات وقال: ياولد بطل شقاوة، ساضعك تحت المراقبة ولابد أن تمشى مضبوطا وتبطل شغل الصياعة والبلطجة!!

لكن أغرب مايرويه د.محمود جامع هو ماجرى بعد ذلك حيث يقول:

روى لى السادات: كان حيدر باشا هو خال المشير «عامر»، وكان يعرف كل شىء عن الضباط الأحرار، ولكنه لم يفش بشىء من أمرنا للملك، وبعد أن أمر بإعادتى أخبرنى بأنى سوف أخضع لامتحان وضعه «ثروت عكاشة» الأستاذ بالكلية الحربية فى ذلك الوقت، وكنت قد نسيت كل شىء يتصل بالامتحانات، فجاء «جمال عبدالناصر» وأجاب ورقة أسئلتى بنفسه وبخط يده ونجحت!!!

●●

ويرسم د.جامع صورة مثيرة بالكلمات عن السادات فيقول:

«كان السادات يتصنع الضعف ويبدو أمام عبدالناصر وإلى جواره كالحمل الوديع، وكان يعرف أنه لو اعترض على قرار واحد أو حتى أبدى رأيا فى أى شىء سوف يكون مصيره هو مصير كل أو أغلب أعضاء مجلس قيادة الثورة».

وكان اختياره رئيسا بعد رحيل عبدالناصر راجعا إلى أنه وديع فى نظر مجموعة عبدالناصر، وأنه مطيع وليس لأنه يستحق الرئاسة، وأن خلعه بعد شهر أو شهرين مسألة سهلة!!

لكن مايدعو للدهشة هو اعتراف د.جامع وقوله: «فى وقت من الأوقات أحس السادات أن صحة «جمال عبدالناصر» بدأت تتدهور وأنه لابد أن يكون جاهزاً لتولى شئون الحكم فبدأ يرتب لاجتماعات مع رموز وممثلى مختلف القوى السياسية الغاضبة، وكان السادات قد حاول مبكراً تحقيق مصالحة تاريخية مع الإخوان الذين كانوا فى خصام وقطيعة كاملة مع الدولة، ولكن هذه المصالحة لم تكتمل لأن أمرها قد اكتشف فى وقت مبكر، وقد كلفنى السادات بإجراء اتصالات مع ممثلى تلك القوى ومع رموزها وأبلغنى أنه أخبر عبدالناصر بما سوف يقوم به من اتصالات!!

وعن مرض عبدالناصر قال السادات لمحمود جامع: إن عبدالناصر كان إذا مرض لايحب أن يعرف أحد حقيقة مرضه خصوصا من جانب الصحافة الامريكية أو الغربية، وكان يحرص على أن يكون أطباؤه من السوفييت الذين كانوا ينصحونه بشرب الفودكا لتوسيع الشرايين ويعطونه أدوية ليست ذات فائدة كبيرة ومجهولة الهوية، وأن السادات علم ذات مرة أن فى القاهرة طبيبا نمساويا ماهراً فأخذه

وذهب إلى عبدالناصر الذى ثار ثورة عارمة أمام الطبيب واتهمنى وكل من حوله باننا نريد أن نرثه، وظل يقسم أنه بصحة جيدة وأنه ليس فى حاجة إلى طب أو طبيب.

واعترف لى السادات أنه قد خرج من عند عبدالناصر يومها وهو فى قمة الخجل لأنه لم يفكر أبداً فيما فكر فيه عبدالناصر، وأنه رأها فرصة مناسبة لعرضه على طبيب عالمى ماهر ومشهور!!

ولا أملك تفسيراً لهذا التناقض المحير سوى أن هناك «ساداتان» فى وقت واحد، «سادات» أحس بتدهور صحة عبدالناصر فبدأ يستعد لتولى الحكم، و«سادات» آخر «زاهد» فى الحكم، والشاهد الوحيد على ذلك هو د.جامع نفسه!!

وينفرد د.جامع برواية قصص وحواديت غريبة مثيرة فيقول:

«كانت أم كلثوم فى صداقة وطيدة مع عبدالناصر وأسرته، وكانت كثيراً ما تذهب إلى منزله فى المساء وتتناول العشاء من الجبن مع عبدالناصر وأسرته، بخلاف السادات وجيهان اللذين كانا يكرهان أم كلثوم وكان شعوراً متبادلاً، وفى إحدى المرات قالت «أم كلثوم» للسادات أمام جيهان «يابوالأناور» فنهرتها جيهان وقالت لها: لاحظى انك تكلمين رئيس جمهورية، وحدث ما حدث!!

وعن السيدة جيهان السادات يؤكد د.جامع أنها كانت تحب أن تكون على علم بما يجرى فى البلد وبمن سوف يستقبلهم الرئيس، وكان «فوزى عبدالحافظ» يرضى غرورها ويشبع رغبتها فى هذه النقطة، فكان يقدم لها تقريراً وافياً عن كل شىء يومياً.

كان الوزراء والمسئولون يتقربون إليها

ويتطوعون بفعل اى شيء يرضيها ظنا منهم انها سوف تزكيهم عند الرئيس، ولكن تخمينهم كان خاطئا لان قرار السادات كان من دماغه دائما، والذين يضخمون من أمر جيهان ويصورونها على انها كانت تتدخل وتعزل الوزراء وتعينهم يظلمونها ويصورون الأمور على غير حقيقتها!!

هذا ما يرويه د.جامع بالحرف، لكنه يعود فى

ليروى العكس تماما فيقول:

لم تكن جيهان تستريح إلى (الشيخ) الشعراوى كثيراً خاصة بعد الموقف الشهير الذى دعته فيه إلى إلقاء محاضرة لسيدات مصر الجديدة ولما دخل وجدهن جميعا سافرات بغير حجاب فغادر القاعة فوراً واحرج جيهان السادات، وظلت غاضبة منه وقالت لى بالحرف الواحد: انا حااشيله من الوزارة وابلغه ذلك على لسانى!!

ولما أبلغته قال: ومن قال اننى حريص على الوزارة أو حتى أريدها، إننى طلبت تركها أكثر من مرة ولكنهم رفضوا!!

● سادات آخـــر!

«السادات» الذى عرفه «د.جامع» كان إذا جلست إليه، وجدت المتعة والراحة والكلام الحلو والقصص الممتعة والنكتة الظريفة، ولاتشبع من جلسته أو حديثه الجميل، وكان يحضر دائما إلى «ميت أبو الكوم» التى يجد فيها الراحة النفسية والبدنية والروحية، ويلبس جلبابه البلدى المحبب إليه، ويزيد عليه العباءة شتاء، وكانت جيهان هى الأخرى إذا ذهبت معه هناك ارتدت الجلباب الريفى للسيدات!

وكان السادات يفتح بيته وقلبه لكل أهله وأحبابه واهل قريته، ويحل لهم مشاكلهم ويسهر معهم، ويصلى معهم الجمعة فى المسجد الوحيد ببلدته، وكان يقف على باب المسجد بعد الصلاة ويسلم على جميع المصلين اثناء خروجهم، ويعرف أسماءهم واحداً واحداً، وينادى كل واحد منهم باسمه ويساله عن زوجته وأبنائه، ويتلقى منهم طلباتهم بكل ود وحنان، ونحن جميعاً واقفون من حوله.

واذكر فى إحدى المرات انه جلس فى منزله ليصلح بين سيدة وحماتها لخلافهما على نصف جاموسة(!!)

ولما طلبت منه أن يتركنى لحل المشكلة حرصاً على وقته قال لى: يامحمود إننى أريد أن اسعد أسرة!!

وكان يتمشى على قدميه ويسير فى شوارع القرية بنفسه، وقد يدخل أحد المنازل ويشرب الشاى مع أهل المنزل بكل بساطة، وفى إحدى المرات طلب أن يركب حمارا ويجوب به فى شوارع ميت أبوالكوم، وكان فى قمة سعادته!!

وكثيراً ماكان ـ السادات ـ يزور السيد البدوى سراً وأنا فى صحبته ودون حراس، ودون أن يشعر أحد!! وكان السادات يتفاءل كثيراً برؤية الشيخ «محمد خليل الخطيب» إمام مسجد السيد البدوى، ويطلب منه الدعاء والبركة، وكان الشيخ الخطيب يرى أشياء فى منامه ويبلغنى بأن أوصلها للسادات، وكنت أفعل، وكانت رؤياه تصدق دائماً لأنه من رجال الله المخلصين، وكان السادات يعلق صورة الشيخ وهو بصحبته فى منزله تبركاً وحباً واحتراماً.

وكان ـ السادات ـ قبل إقدامه على أى قرار مصيرى خطير يزور سيدى السيد البدوى تبركا، وقد فعل ذلك قبل ثورة التصحيح وقبل العبور وقبل زيارة القدس وقبل مباحثات كامب ديفيد.(!!)

والسادات الذى عرفه «د.جامع» كان يعرف حكايات ومعلومات، لكنه كان يحجبها عن «عبدالناصر» ، ويروى المؤلف قصة زواج المشير عامر من الفنانة برلنتى عبدالحميد ويقول بالحرف: «صلاح نصر قائد المخابرات العامة هو الذى عرف برلنتى عبدالحميد بعبدالحكيم عامر، وهو الذى قام بعملية زواجهما من وراء ظهر عبدالناصر ودون علمه»، ولكن عبدالناصر علم بالأمر عن طريق منشور وصل إلى «على صبرى» وذهل «عبدالناصر» وطلب شعراوى جمعة وزير الداخلية، وكلفه بعمل تحريات سرية ودقيقة وسريعة عن طريق اللواء حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة ـ وبعيداً عن مخابرات صلاح نصر صديق المشير ـ وتأكد الخبر وكتمها عبدالناصر فى نفسه حتى وفاة المشير، وأخبر السادات بذلك فى حينها، ولكن السادات الذى كان يعلم لم يخبر عبدالناصر أنه يعرف(!!).

ومن أغرب مايرويه د.جامع نقلاً عن الرئيس

السادات هذه القصة المثيرة التى لايصدقها عقل.

«أخبرنى السادات بأن عبدالحكيم عامر عندما كان نائباً اول لرئيس الجمهورية سافر فى رحلة رسمية إلى فرنسا صحبه فيها «شمس بدران» و«على شفيق» وأثناء مراسم توديعه فى المطار ذهب بعض أهالى بلدته من محافظته المنيا لتوديعه بجلاليبهم التقليدية، وفرحوا بمنظر الطائرة وطلبوا من شمس بدران أن يتفرجوا عليها من الداخل قبل حضور المشير، وسمح لهم بالصعود للطائرة.. وكانت المفاجأة أنهم رفضوا النزول من الطائرة وصمموا على السفر مع المشير إلى فرنسا، وتأزمت الأمور حتى وصل المشير وصعد إلى الطائرة، وأخبروه بأمر هؤلاء الصعايدة، فما كان من المشير إلا أن تصرف بشهامة معروفة عنه وأمر بأن يصاحبوه فى الرحلة(!!) ولم تكن معهم جوازات سفر أو ملابس أو نقود!!

ووصلت الطائرة إلى باريس، وتم استقبال المشير رسمياً فى المطار، وفوجئت سلطات السفارة المصرية فى فرنسا، وكذلك سلطات البروتوكول الفرنسى بهؤلاء الصعايدة الذين لم يعمل لهم أى حساب فى الاستقبال أو الإقامة أو خلافه.. وعملت لهم إجراءات استثنائية وسريعة وفتح «على شفيق» سكرتير المشير حقائب النقود والعملات الصعبة بدون حساب لشراء كل طلباتهم كأمر المشير، واشتروا جميع الدراجات من محل بأكمله(!!) وملابس ومفروشات، وكانت طائرة المشيرتنقل المشتريات إلى القاهرة حتى انتهت الرحلة على حساب الدولة دون رقيب أو حسيب.

انتهت الرواية الغريبة ولايوجد دليل واحد على حدوثها أو دليل على عدم حدوثها إلا إذا تطوع أحد المعاصرين لها - شقيق المشير عامر مثلاً - بشهادته حول هذه القصة!!

فى موضع آخر من المذكرات يعترف د.جامع بأن السادات قال له: «إن شمس بدران وزير حربية مصر كان يكرهه من أعماق قلبه، وكان يكره أن يراه فى وئام وصداقة مع رفيقه عبدالحكيم عامر الرجل الطيب القلب إلى حد بعيد».

ومع ذلك - وعندما حكم على شمس بدران بالسجن المؤبد أيام عبدالناصر - فإن السادات بعد توليه

الحكم - كما يقول «د.جامع» - أمر بالإفراج عنه وأعطاه جواز سفر دبلوماسيا، وأمر ممدوح سالم بتوصيله حتى الطائرة وودعه وسافر إلى لندن، وأراد السادات أن يتخلص منه لأنه حسب تفكيره - فقد كل شيء وسجن ومن الممكن أن يتكلم أو ينبش الماضى فى أى وقت، وبأية وسيلة، وقد يكون ذلك مصدر قلق دائم للسادات الذى كان يريد أن يتفرغ لمشاكل الحكم دون عكننة خاصة وشمس بدران يعلم الكثير من الأسرار، وعن أنور السادات بالذات!!

ومن أغرب الأسرار التى يكشفها د.جامع بعيداً عن السياسة هى أن «عمر المحيشى» عضو مجلس قيادة الثورة الليبى تقدم لخطبة «لبنى» كريمة السادات الذى رفض رفضاً باتاً، وأن الرئيس الجزائرى أحمد بن بيللا تقدم للزواج من إحدى كريمات الرئيس عبدالناصر ولكنه رفض(!!!).

ومن حكايات الزواج الغريبة أيضاً يروى د.جامع قصة إفساد زواج الشاب أحمد المسيرى من لبنى ابنة السادات بواسطة «أشرف مروان وفوزى عبدالحافظ وجيهان السادات» ويعترف د.جامع بأن السيدة جيهان أرسلت رسالة إلى المسيرى عن طريقى تقول له فيها: ابعد عن البنت فهى لاتحبك!! كان المسيرى شاباً ذكياً واسع الأفق طموحاً كفؤا، وقد خاف منه أشرف وخشى أن يحتل مكانه فى الرئاسة، فأطاح به وجعل مكتبه فى مقر عابدين، وأرسله فى مهمة إلى اليمن عاد منها بنجاح، وانتهى الأمر بإبعاده نهائياً من الرئاسة إلى وزارة الخارجية!!

لكن الغريب فى الأمر - لو صدقت رواية د.جامع - أن السادات فى الوقت نفسه كان عاجزاً عن فعل شيء من أجله تحت ضغط هذا الثلاثى الخطير.(!!!)

ولانهاية لمثل هذه الحكايات فى كتاب د.جامع، ومنها مثلاً مايتعلق بالاستاذ «هيكل»، وكما يقول د.جامع: «كان السادات إذا سمع اسم هيكل قال بسرعة: هيكل نعم ولكن هيكلية لا.. وقد فهمت من السادات أن هذا التعبير للدكتور «على السمان».

وأذكر أنني سألت السادات يوماً وقلت ساخراً: أنا مبسوط جداً أنك تستشير «هيكل» فى كل شىء، وهنا انفجر «السادات» غاضباً وقال:

- هيكل ده مين فاكرنى عبدالناصر.. هو صحفى زى كل الصحفيين!!

●●

وفى أغلب صفحات الكتاب سوف تطالع وترى عشرات الصور للدكتور محمود جامع مع كبار الأسماء، وفى مقدمتها السادات بالطبع، واختيار ونشر هذه الصور تأكيداً - مباشراً أو غير مباشر - من د.جامع لكى يؤكد لك فى كل لحظة: لقد كنت موجوداً بجوار السادات.. وقلت له وقال لى!!

وطوال ٢٨٥ صفحة ستطالعك عشرات الأسماء المهمة والبارزة منها: سيد مرعى وعثمان أحمد عثمان، د.فؤاد محيى الدين، د.عزيز صدقى، المشير الجمسى، د.أشرف مروان، القذافى، الملك فيصل، كمال الشاذلى، منصور حسن، د.فتحى سرور، المشير عامر، شمس بدران، سامى شرف، على صبرى، شعراوى جمعة، هيكل، الشيخ الشعراوى، د.عبدالحليم محمود، أبوغزالة، د.على السمان، موسى صبرى..إلخ.

مشكلة هذه المذكرات وغيرها أن الموتى لن يكذبون وقائعها والأحياء لايستطيعون تصديقها!! تلك هى المشكلة!!

رشـــاد كـــامـــل

[ ] الرئيس السادات وبجواره د.جامع !!